

## انتشار التشيع بين خوف الحكام واجرام المتشددين

2015-12-20 عادل الصوري

أثارت المجزرة التي ارتكبتها السلطات النيجيرية مؤخراً بحق أتباع أهل البيت عليهم السلام جدلاً في مواقع التواصل الاجتماعي حيث لاقت هذه الجريمة استنكاراً واستهجاناً من قبل الناشطين في هذه المواقع، كما أثارت الحادث استغراب الكثيرين من تعمد أكثر وسائل الإعلام والقنوات الفضائية التعقيم على هذه الحادثة كون هذه الوسائل تمثل الأدلجة المقربة من الفكر الذي يعادي الشيعة الإمامية في مشارق الأرض ومغاربها.

وتركز الجدل حول قضية انتشار التشيع في بلدان ما يسمى (أهل السنة والجماعة)، وهذه القضية -كما هو معروف- لها امتداداتها وجذورها وحضورها في الأحداث التي دونها التاريخ الإسلامي وكيف أنها شكلت قديماً وحديثاً مصدر قلق وأرق عند حكام هذه البلدان الذين أدركوا أن تنامي التشيع وانتشاره وما سيحدثه من وعي خصوصاً في اوساط طالبي العلم والمعرفة، واكتشاف الحقائق التي أخفيت عنهم كفيل بأن يطيح بعروشهم وإسقاط أنظمتهم القائمة أصلاً على آليات (التسنن) التي كفلت لهم ولفترات طويلة البقاء في السلطة بل وتوريثها في بعض البلدان انطلاقاً من عدم جواز الخروج على الحاكم وإن كان جائراً باعتباره ولي الامر.

وبالعودة للجذور التاريخية لقضية انتشار التشيع نجد الكثير من الرواة والمحدثين تحدثوا عنها ومنهم مسدد بن مسرهد الذي كتب لاحمد بن حنبل يستفهمه عن الصراعات الفكرية المختلفة وموقف (أهل السنة) منها حيث شهد زمنه انتشاراً واسعاً لأفكار كثيرة وحضور لفئات وعقائد متعددة ومنهم الشيعة الإمامية، وأمام قوة حججهم وفكرهم المستند على إرث أهل البيت عليهم السلام تنازل ابن حنبل قليلاً عن تشدده تجاههم وهو الذي كان يشكل على الشيعة قولهم ان علي بن ابي طالب عليه السلام أفضل من أبي بكر وأن اسلامه كان أقدم من إسلام أبي بكر، واعتبر القائل بهذه الأقوال قد (رد الكتاب والسنة)1.

وفي زمننا الحاضر، وبعد ما شهده العالم من تطور تكنولوجي واتصالي كان لابد من خروج الأفكار

اءاء اءم اءءءءم علفها سابقاً بأراءاء وأءءءاء عءاءفة ان اءءء للوءوء وءمفط اللءام عن الكءفر من الءقائء؁ ولفس ؒرفباً ان فءءر مرءز للءراءاء الإءلفمفة فف السوءان ءراءة ءؤء ءزافء أءءاء المءشففعف فف السوءان أءلبهم من الشباب الءامعف ءءف صار عءءهم بالآلاف ووءفف ءراءة هءا الموءوء بالءطفر ؒءاً.

إن سبب ءشفع هءه الأءءاء فف بلءان فءلب علفها طابع ءءسن وهف ءف ءاء ءءى وءء قرفب- ءعءر الروافض أهل بءعة وءارءفن عن ءفن وءرفها فرءع من وءهة نظرنا لعاملفن رففسفن:

## العامل الأول/

ظهور ؒماعاء مءشءءة ءبفء ءماء الأبرفاء ءءنظفم القاءعة وءاعش وبوكو ءرام وءرفها من الءماعاء المسلحة المءطرفة ءف ءرءع فف عقاءءها إلى أكثر المءاهب ءطرفاً وءشءءاً وهور المءهب الوهابف؁ ولم ءسءطع الءكومااء ولا المؤسساء ءفنفة ءف ءءعم هءه ءنظفمءاء مالفاً وسفاسفياً وعقاءءفياً بالءفاء ءءطفة على ؒرائم هءه الءماعاء او ءبررفها للعامة بأنها أعمال ؒهاءفة؁ لأن ؒرائم ءلك الءماعاء لم ءقءصر على فئه الشفعة ءف ءم ءكفرها واسءباحة ءماء من فءبناها بل امءءء ءءى لمن هم ءارء ءشفع فف ءواءء ءءفر؁ أبرزها ءاءءة إءراق الطفار الأردنف معاء الكساءبة وءف أن ءاءءة الإءراق هءه ارعبء المءءمءاء ءف ءاء ءنظر لهءه الءماعاء على أن أفراءها مءاهءون ففءالون الكفر وإءا بها ءشاهء هءا الطفار فءءرق بءهمة الاءءءاء فف ءاءءة ءءكر بءاءءة اءراق الفءاءة الأسلمف2 الءف أءرقه أبو بكر ءفأ فف أول ءاءءة لءرق الإنسان فف الإسلام.

ءما أظهرء ءءربة ءنظم ءاعش الإرهابف ءصوصاً فف العراق وسورفا الوءه القبفء لهءا الفءر الإءرامف المءطرف وءف ان أفراءه مءرءون من كل ما فمء للإنسانفة بصلء؁ فإن ءاء عقفءءهم ءبفء لهم قءل الشفعة وءسءءل ءماءهم فإن الإنسان السنف البسفط فسأل مءلاً هل أن الفءفاء الأفزفءفاء اللواف ءم ءطفهن واوءصابهن بأبشع الصور شففعفاء رافضفاء!؟

هل أن المسيحيين الذين قُتلوا وهُجروا وصودرت ممتلكاتهم هم شيعة إمامية؟

ماذا عن الآثار الحضارية التي تم تهديمها في الحضر وتدمر فهل هي من آثار الرفض؟ هذه الأسئلة وغيرها الكثير تدور في رأس الإنسان السني والتي لا يجد لها إجابات من مشايخه الذين يجتهدون في الفرار منه ومن أسئلته تاركه في دوامة من الشك ما يجعله يبحث عن بوصلة فكرية ترشده لطريق الصواب.

## العامل الثاني /

تنامي ظاهرة السجال الإعلامي خصوصاً في وسائل الإعلام المرئية والقنوات التلفزيونية حيث كثر الحديث عن هذه الظاهرة، ولسنا هنا بصدد تأييد أو معارضة هذه الظاهرة السجالية بقدر ما نريد التأكيد على أن المشاهد ذكي جداً لدرجة التمييز بين طرح هذا الطرف وذاك، فبين كثرة القنوات الفضائية التي يشاهدها تدعو لتسقيط المذهب الشيعي بحجج لا حظ لها على الصعيد العلمي والمعرفي وتصف القتلة بالجهاديين المدافعين عن الدين والسنة، يشاهد بالمقابل قنوات بإمكانات بسيطة تطرح أفكارها مستندة على مصادر متنوعة ومعتبرة حتى عند المخالف رغم ما يؤخذ عليها من حالة الجهر بسب ولعن شخصيات تعتبر (رموزاً) عند الآخرين، والمشاهد هنا يقارن بين الحالتين خصوصاً عند اكتشافه لحقائق موجودة ومثبتة في مصادره تم التعتيم عليها او انه استمع لتوجيهات بعدم مطالعتها وهكذا.

ولحد هذه اللحظة، لا تريد الحكومات ولا المؤسسات الدينية المتشددة أن تعترف بأن سياسات وآليات القمع الفكري لا فائدة منها بل العكس هو النتيجة الحتمية لهذه الآليات التي لاشك أنها ستولد ردات فعل معاكسة.

ولعل حادثة قتل الشيخ المصري الشهيد حسن شحاتة -رحمه الله- خير دليل على ما ذهبنا إليه، فما أن جرت هذه الحادثة الفظيعة التي تعرى فيها الفكر السلفي حتى انتشر التشيع في مصر بسرعة غريبة ارهقت السلطات هناك والتي ذهلت بسبب الإقبال الكبير على شراء كتب ومؤلفات الشيعة الإمامية في معرض القاهرة الدولي للكتاب. كما ان السلطات ضيقت على شيعة مصر في عاشوراء

ومنعتهم من أداء طقوسهم وشعائرهم حيث قامت بإغلاق مشهد الإمام الحسين عليه السلام في سابقة جعلت الكثير من الأصوات الإعلامية والأكاديمية ترتفع وتستفهم عن مستقبل الحريات ومنها الدينية في مصر.

كما تعرض الفنانون المصريون الذين قدموا إلى بغداد للمشاركة في مهرجان ثقافي فني للتضامن مع أهالي ضحايا مجزرة سپايكر الدموية لحملة تسقيط واسعة وصلت لدرجة تكفيرهم وإخراجهم عن الإسلام وتهديدهم بالقتل واتهامهم باستغلال جماهيريتهم الواسعة من أجل نشر التشيع في مصر، في الوقت الذي لم يصدر الأزهر أي بيان إدانة لهذه الممارسات الطائفية بل اكتفى بالإشارة لها على استحياء بعد ان شاهد غضب الجماهير التي وقفت إلى جانب الفنانين الذين دافعوا بقوة عن موقفهم في وسائل الإعلام وبينوا للشعب أبعاد هذه القضية وكيف أن الضحايا مسلمون يتشهدون الشهادتين وتم قتلهم بدم بارد من قبل زمر التكفير والإرهاب التي لا تمت للإسلام بأية صلة لينقلب سحر المتشددين عليهم.

واليوم، يحاول الأزهر بكل ما أوتي من إمكانيات وبشتى السبل والوسائل إعاقة قضية انتشار التشيع لدرجة إعلانه عن إقامة مسابقة لطلبته وبمكافآت مالية كبيرة للكتابة في مخاطر انتشار التشيع في بلاد السنة وأسبابه وطرق مكافحته، ما يعكس قلقاً واضحاً في هذه المؤسسة التي كثر الكلام عن هيمنة المؤسسات الدينية المتشددة في السعودية عليها وعلى قراراتها وآليات عملها بعد ان كانت في نظر الكثيرين مؤسسة للوسطية والاعتدال، ولا مشكلة - بطبيعة الحال - من إجراء مسابقة للكتابة والبحث في شأن علمي وثقافي لكن وضع عنوان (مخاطر انتشار التشيع) يوحى للطالب المتقدم للمسابقة بكارثة قادمة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار المصادر التي سيعتمدها الطالب في بحثه ودراسته وهي تقطر سمّاً وغيظاً على التشيع ما يجعله يخلص في الأخير إلى ما خلس له الأسلاف من نتائج لم تقدم للمجتمع الإسلامي غير الإنقسام والكرهية واستباحة الدماء المحرمة.

.....

1. طبقات الحنابلة لابن ابي يعلى ج1ص344

2. ينظر تاريخ الطبري ج2 ص493 وتاريخ دمشق لابن عساكر ج30 ص418 و422

.....

\* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبا المعلوماتية